Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ٱلبرد حجابا، وٱلثلج حِجازا، بَرْدٌ يعبس له ٱلوجه ٱلطَّلْق. بردٌ يَزوي ٱلوجوه، ويعمش ٱلعيون، ويسيل ٱلأنوف. بَرْدٌ يُغيّر ٱلألوان، ويُقشّف ٱلأبدان. بردٌ يُقضقضُ ٱلأعضآء، وينفض ٱلأحشآء. بردٌ أجمدَ ٱلرّيق في ٱلأشداق، وٱلدّمع في ٱلآماق. حال بين ٱلكلب وهَرِيره، وٱلأسدِ وزئيره، وٱلطّير وصَفِيره، وٱلمآء وخَرِيره، نحن بين لَثَقٍ ودَمَقٍ وزَلَق.

في الاستظهار على البرد

ليس للبَرد كٱلبُرْد والجمر، إذا كلب ٱلشتا، فدِرْيَاق سمومه ٱلصِّلا.

في نعت الأيام الشتوية

يومٌ كأنّ ٱلأرض شابت لهوله. يومٌ فضيّ ٱلجِلْباب، مِسكيّ ٱلنِّقاب. يوم عبوسٌ قَمْطَرِير، كشر عن ناب ٱلزّمهرير، وفرش ٱلأرض بٱلقوارير. يومٌ أخذت ٱلشّمال زمامه، وكساه ٱلصِّرّ ثيابه. يومٌ كأنَّ ٱلدُّنيا فيه كافورة. وٱلأرضَ قارورة، وٱلسمآءَ بلّورة. يومٌ أرضه كٱلقوارير ٱللاّمعة، وهوآؤه كٱلزنّابير ٱللاّسعة. يومٌ أرضه كٱلزُّجاج، وأعالي ٱلزِّجاج. يوم يثقُل فيه ٱلخفيف إذا هجم، ويخفُّ ٱلثقيل إذا هجر.

أبواب ذكر الليل والنهار

ووصف أوقاتهما، واختلاف أحوالهما، وما يتصل بهما

في ذكر اقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر ٱلليل، خفقت رايات ٱلظلام، خلع ٱلليل علينا فَرْوتَه، وألبسنا ٱلظلام بُرْدَته. تفقّد ٱلشَّفَق، في ثوب ٱلغَسَق، قيّد ٱلظلام ٱلحاظ ٱلعيون. وستره ٱلظلام بذيله. أقبلت وفود ٱلنجوم. جآءت مواكب ٱلكواكب.